المجرى ، فلما نزل القرآن بمعانيه الرائعة التي افتن بها في غير مذاهبهم ونزع فيها إلى غير فنونهم ، لم يقفوا على ما أريد به من ذلك ، بل حملوه على ظاهره ، وأخذوا منه حكم زمانهم ، وكان لهم في بلاغته المعجزة مقنع ، وما درى عربي واحد من أولئك لم جعل الله في كتابه هـذه المعاني المختلفة . وهذه الفنون المتعددة التي يهيج بعضها النظر ، ويشحذ بعضها الفكر ، ويمكن بعضها اليقين ، ويبعث بعضها على الاستقصاء . وهي لم تكن تلتئم على ألسنتهم من قبل ؟ بيد أن الزمان قد كشف بعدهم عن هذا المعنى . وجاء به دليلا بيناً فيه على أن القرآن كتاب الدهر كله . وكم للدهر من أدلة حتى هـذه الحقيقة ما تبرح قائمة . فعلمنا من صنيع العلماء أن القرآن نزل بتلك المعاني ، ليخرج للأمة من كل معنى علماً برأسه ، ثم يعمل الزمن عمله فتخرج الأمة من كل علم فروعا ، ومن كل فرع فنوناً »[1] .

ومن ذلك يتضح أثر القرآن الكريم في نشأة هـذه العلوم المختلفة بحيث وجد كل علم منها في القرآن مورداً عذباً يستقي منه . ومن هذا يتضح أيضاً ذلك البعد بين العصر الإسلامي والنهضة العلمية التي قامت فيه على أساس من القرآن وبين العصر الجاهلي الذي قد تتوافر له مقومات الحضارة . ولكن لم تتضافر فيه بواعث النهضة والحياة الفكرية المتكاملة . يقول المرحوم الأستاذ طه أحمد إبراهيم :

« ملكة النقد عند الجاهليين هي الذوق الفني المحض . فأما الفكر وما ينبعث عنه من التحليل والاستنباط . فذلك شيء غير موجود عندهم . وبعيد كل البعد عن الروح الجاهلي . وعن طبيعة العصر

---

(١) تاريخ آداب العرب — الرافعي — الجزء الثاني ص ١١٠ ، ١١٤ (القاهرة — الطبعة الثالثة — ١٣٧٣ هـ / ١٩٥٣ م) .